كلية الآداب
جامعة الأسكندرية
قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة الإسكندرية
ALEXANDRIA UNIVERSITY
الدراسات العليا

القضايا السياسية في المسرح السكندري المعاصر
نماذج مختارة

رسالة مقدمة من الطالبة

هدى جمال الدين رملي عناني

لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في الآداب

من قسم اللغة العربية وآدابها بنظام الساعات المعتمدة

إشــراف

أستاذ دكتور	**أستاذ دكتور**
سحر حسين شريف	**محمد عبد المنعم**
أستاذ الأدب العربي الحديث	أستاذ التمثيل والإخراج
بقسم اللغة العربية	بقسم المسرح
كلية الآداب- جامعة الإسكندرية	كلية الآداب- جامعة الإسكندرية

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

قد تضمنت الرسالة عملين مسرحيين للكاتب السكندري السيد حافظ؛ فالعمل الأول هو مسرحية (الحانة الشاحبة العين تنتظر الطفل العجوز الغاضب) وكان في الفصل الثاني بعنوان: **القضية الفلسطينية في المسرح السكندري المعاصر**، وأمَّا العمل الثاني هو مسرحية (والله زمان يامصر) وكان في الفصل الثالث بعنوان: **قضية الحرب والسلام في المسرح السكندري المعاصر**.



***السيدحافظ**

وُلِد الكاتب المسرحي والروائي السيد حافظ في الإسكندرية عام ١٩٤٨م، تخرج في كلية التربية عام ١٩٧٦م، كان مسؤولًا عن مسرح الثقافة الجماهيرية بالإسكندرية من عام ١٩٧٤م إلى عام ١٩٧٦م، وعمل في مجلة صوت الخليج بالكويت عام ١٩٧٦م، وعمل بالمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، حصل على الجائزة الأولى في التأليف المسرحي بمصر عام ١٩٨٠م، كما حصل على جائزة أحسن مؤلف موجه للأطفال في الكويت عن مسرحية (سندريلا) عام١٩٨٣م.

تنوع إنتاجه بين العمل الإذاعي والروائي والمسرحي سواء موجه للكبار أو للصغار ونذكر من أعماله المسرحية:

- كبرياء التفاهة في بلاد اللا معنى في عام ١٩٧٠م.
- الطبول الخرساء في الأودية الزرقاء في عام ١٩٧١م.
- حبيبتي أنا مسافر في عام ١٩٧٩م.
- هم كما هم ولكن ليسوا زعاليك في عام ١٩٨٠م.
- ظهور و اختفاء أبو ذر الغفاري في عام ١٩٨١ م.
- حكاية الفلاح عبد المطيع في عام ١٩٨٢م.
- يا زمن الكلمة الكذب، الخوف، الموت في عام ١٩٨٧م.
- ٦رجال في المعتقل في عام ١٩٨٩م.
- سيزيف القرن العشرين في عام ١٩٩١م.
- الأشجار تنحني أحيانًا في عام ١٩٩٢م.
- ملك الزبالة في عام ١٩٩٥م.
- رسالة للسيد الرئيس في عام ١٩٩٧م.
- حرب الملوخية في عام ٢٠٠٠م.
- وجوه في الليالي الضائعة في عام ٢٠٠٣م.

الفصل الثاني

القضية الفلسطينية

في المسرح السكندري المعاصر

مسرحية (الحانة الشاحبة العين تنتظر الطفل العجوز الغاضب) للكاتب السيد حافظ

تناولت هذه المسرحية القضية الفلسطينية في مرحلتها الثالثة في الفترة من(١٩٦٧-١٩٧٣م)، إذ كانت هزيمة ١٩٦٧ صدمة كبرى للعرب عامة وللمصريين والفلسطينيين خاصة؛ فمعظم الكُتاب تجنبوا الحديث عن الهزيمة، وحاولوا تجاوزها بالعزف على وتر الدين أو الهروب إلى استلهام التراث.

وتبعًا لذلك أخذت القضية الفلسطينية مفهومًا جديدًا، يتمثل في الدعوة إلى التمسك بالدين انتظارًا للمعجزة الإلهية في عودة الأرض، لكن ظهر جيل آخر يرى أن القضية الفلسطينية لا تخص الفلسطينيين وحدهم ولكنها تعني كل العرب، وأنها قضيتهم الجوهرية، متخذين من الهزيمة وسيلة للتحرر بمحاسبة الحكام على تقصيرهم الذي أدى إلى الهزيمة وضعفهم وتخاذلهم تجاه القضية الفلسطينية بصفة خاصة. وهذا ما طرحته مسرحية (الحانة الشاحبة العين تنتظر الطفل العجوز الغاضب).

لقد عالج السيد حافظ القضية الفلسطينية في العديد من أعماله المسرحية -للكبار والصغار- مبينًا سلبية الموقف العربي والعالمي تجاه القضية، وكيف تهاون العرب في مساندة الفلسطينيين. إن دور السيد حافظ في الكتابة عن القضية الفلسطينية لا يقل أهمية عن دور كل من توفيق زياد ومحمود درويش وغسان كنفاني وسميح القاسم ومعين بسيسو.

لقد عكست المسرحية الواقع المرير بعد نكسة٦٧؛ فقد زحف الظلام في جزيرة السمان، وصحراء رام الله، وخطوط مواجهة السويس والإسماعيلية، وفي داخل الأرض المحتلة، وفي بقاع أخرى من المجتمع.

وقد اختار الكاتب أبطال مسرحيته من كل شرائح المجتمع - الفدائي والمناضل والأجنبي- جمعتهم مشكلة واحدة هي: تحرير الأرض المغتصبة من العدو، وتاريخ مزيف وحضارة ملوثة بالظلم، والخيانة الوطنية، والاعتقال والتعذيب، فلا توجد محاسبة للقوي الظالم، لا يوجد سوى وعود كاذبة وهتافات ضعيفة، لذلك كان لا مفر من العمل الجماعي الثوري المسلح كحل للتحرير من ظلم العدو.

تتكون المسرحية من فصلين، وفي كل فصل يقدم الكاتب شخصياته دفعة واحدة، فتُفتتح المسرحية بأربعة مستويات، فمستوى به صياد عجوز فقد سمانه في جزيرة السمان، وفي نفس المستوى عجوز الحانة التي ذهبت لإحضار طعام أطفالها منذ عام ١٩٤٥م وضاعت في صحراء رام الله، ومستوى آخر به مجموعة من القوات الخاصة المصرية أتمت عملية العبور، ومجموعة من الفدائيين الفلسطينيين سيبدأون في العبور، وآخر به مجموعة من الرجال والنساء، -استطاع الكاتب من خلالهم كسر الجدار الرابع بقيامهم بدور الراوي- والمستوى الأخير كان مجرد فراغ. كما يظهر أجانب من مختلف الاتجاهات الفكرية في ألمانيا الغربية يهتفون:

"أوقفوا الحرب في فيتنام.

انقذوا الإنسان في جنوب أفريقيا.

الإنسان الأبيض يذبح الأسود. اهتفي يا ليلى.

ليلى: عليَّ أن أصمد في الثورة إننا لن نهتف.. الثوار لا يهتفون.. شجعوني لا.. بل ساعدوني بلا تشجيع وهتاف .. كما ساعدتم يهوذا عندما دخل الحانة يدَّعي السكينة والذلة.. لما تريدون أن تساعدوني بالهتاف؟

الأجانب: أين وطنكِ الذي تريدين أن نهتف له؟

ليلى: وطني تعرفونه كما يعرفه العالم...كيف لا تعرفه وأنت جزء من داخلك فيه يا جورج.. سل بيت المقدس في داخلك، يا صديقتي.. في داخلك يا ماري اسألوه.. وطني في كل النفوس.

الأجانب: أنا لا أعرف شيئًا"[١].

في هذا المشهد يطرح السيد حافظ القضية الفلسطينية التي صمَّ العالم وعمى عنها، فيتعجب الكاتب كيف يهتف العالم لحرب فيتنام بينما ينسى قضية يعرفها العالم أجمع؛ فالقدس في داخل كل فرد، والحل ليس بالهتاف بل بالكفاح المسلح ضد مغتصبي الأرض.

---

[١] السيد حافظ: مسرحية (الحانة الشاحبة العين تنتظر الطفل العجوز الغاضب)، المسرح السياسي، أدب الحرب، ج٢، ط٢، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، د.ت، ص١٤،١٦،١٧.

ويتساءل الكاتب على لسان "ليلى" كيف تحولت أرض السلام وأرض الديانات السماوية إلى أرض الموت والظلم، يُقتل فيها السلام بأيدي مجرمة سُجلت في التاريخ تحت أسماء مجهولة، فتقول: "**ظلال أشجار السلام الذبيح السلام الذي ذُبح على الموائد الخضراء والتهمته الأيدي ذات القفازات الحريرية هم يخلعون القفازات بعد قتل السلام وكأنهم لم يفعلوا شيئًا وتُقيّد الجريمة في سجل الإنسانية ضد مجهول ويسيرون في الجنازة بالثرثرة والاستغلال وبيع السلاح ويضحكون في عينيّ عناد الحق المصلوب على الزيف المطلي به ناطحات السحاب في واشنطن وفي المملكة التي لم تغب عنها الشمس يومًا وقد أفنتها الشمس يومًا**"(٢).

يصف الكاتب صرخة "ليلى" وهي تصف قتل السلام على أيدي الخونة الذين يمشون في جنازته وينفون جُرمهم وتُسجل القضية ضد مجهول، لكن من ساندهم معروف، لقد ساندتهم صاحبة ناطحات السحاب في واشنطن–أمريكا– باستغلال الخيرات وبيع السلاح، وغابت شمس فلسطين بعد ممارسة العنف في حانة الله فتقول ليلى: "**ماتت أمي في الحانة عندما كان جسدها مثقوبًا ويداها مثقوبتين.. في قاع العين كانت سراديب الوحشة تتكاتف ظلًا للعنف الاستبدادي.. العنف الشاحب الأزرق الذي جُمد في شرايين وجه أمي**"(٣).

لقد بات العنف والتلذذ بدماء الأبرياء عادة العصر لدى الدول الاستعمارية التي سعت لإشعال هذه الحرب ولقتل فراغ الغرور وتأييد القوة المالية، وهذا ما أورده الكاتب في مسرحيته على النحو التالي:

ياسر: يسقون العالم كؤوسًا مليئة بدم الأبرياء.. الدم جاف في صيف العصر الذي يذبح فيه الإنسان بلا دماء وعندما تدفعهم رغبة الجنون المتوثبة في أعينهم يستلذون من مشاهدة سخونة الدماء .. الدم الأحمر الجاف الساخن .. ويسعون للحرب.

محمد: في سنة ٤٨ و ٥٦ و ٦٧ كل الحروب كانت تسلية للقوة المالية.. والعملية بل القوة الباطشة الفارغة بتحس بالفراغ.. الفراغ العقيم.. أي حرب سببها الفراغ.. فراغ القوة الرهيبة

---

(٢) السيد حافظ: مسرحية (الحانة الشاحبة العين تنتظر الطفل العجوز الغاضب)، مصدر سبق ذكره، ص١٥،١٦.

(٣) المصدر السابق، ص٤٠.

النايمة مكانها بتنشط نفسيتها من الكسل.. فراغ الغرور اللي في البشر فراغ الدول.. ناس ياما وسلام عالمي جديد.. وأموال لا تحصى ولا تعد.. لازم يبقى فيه تسلية"(٤).

لقد أصبح التسابق العالمي للأسلحة في الحروب ترفيهًا ومَلْأً لفراغ النفس؛ ونتيجة لذلك أصبح الشعب الفلسطيني بلا أرض، وأصبحت قضيته مناسَبة للقاء بين الملوك والرؤساء، بل جعلوا من فلسطين امرأة عارية ينفرد بها كل مراهق فكري، وتستشهد الباحثة بما ورد في المسرحية على لسان "ليلى" فتقول: "**شعبي شهادة ميلاده قذفوها على البلاط تحت أقدام رجال الحفلات الدبلوماسية.. شهادة ميلاده وضعوا عليها صورة امرأة عارية وآمن بها كل مراهق فكري في العالم ولم ينظر ما خلف الصورة، وفي هذا العصر المراهقون يملكون كل الأصوات العالية وهم الأغلبية وهم أكثر العالم ضجيجًا وسخطًا وصوتًا في أذن العالم اللا واعي**"(٥).

أصبحت القضية من وجهة نظر الكاتب قضية ينادي بها أي شخص لا يعي الخطر الحقيقي ولا يتخذ الخطوة الحقيقية الإيجابية لحلها، ولهذا استوطنت إسرائيل أرض فلسطين وأثبتت شرعيتها بتزوير التاريخ واعتبرت نفسها القوى العظمى، وهذا ما جاء في حوار الضابط الإسرائيلي مع ياسر المناضل الذي اعتقله كما يلي:

"**ياسر: هل تعتقد أنك ما زلت الأقوى؟**

الضابط: وهل تشك أنت في ذلك؟

ياسر: والتاريخ.

الضابط: دعك من الصور اللفظية.. التاريخ يتحدث.. الحرية تضيع.. الرايات تصفق..التاريخ يدونه الإنسان يا عزيزي.

ياسر: يدونه الحق.. الحق يدون.. مازالت الألفاظ لعبتكم والصياح سلاحكم.

---

(٤) السيد حافظ: مسرحية (الحانة الشاحبة العين تنتظر الطفل العجوز الغاضب)، مصدر سبق ذكره، ص٧٧.

(٥) المصدر السابق، ص١٥.

الضابط: أنت الذي دونت التاريخ وأنا الآخر دونت تاريخ حامورابي وكل فرد يدون تاريخه كما يشاء والأكثر وعيًا وذكاء يا عزيزي هو من يجعل العالم يصدق تاريخه"(٦).

استطاع الكاتب أن يوضح كيف أثبتت إسرائيل نفسها بالمراوغة وجعلت العالم يقف في صفها لكن "ياسر" ظل يراها لعبة ألفاظ وقوة سلاح، وأن الحل سيكون في العودة أو الثورة المسلحة، فيقول:

"**الضابط: ما الحل؟**

ياسر: السلاح.

الضابط: ما الحل الآخر؟

ياسر: العودة إلى كل مكان شمالًا.. جنوبًا.. شرقًا.. غربًا.. بيت لحم.. القدس.. تل أبيب"(٧).

كما أكد "صبحي" في حواره مع حبيبته " نون" أن المقاومة هي الحل؛ حتى نسترد ما ضاع، ويتضح ذلك فيما يلي:

"**صبحي: إلى متى؟ سأظل مقيدًا؟ إلى متى سأظل عبدًا لرغبة البقاء أنا لا أرغب أن أكون عبدًا للمال ..للذة.. للحياة المغفلة.**

نون: وما العمل؟

صبحي: قريبًا ستصل بعثة الغضب الحمراء.

نون: إلى أين؟

صبحي: إلى الخليل.. إلى عكا.. إلى حيفا.. إلى يافا.. إلى كل مكان"(٨).

---

(٦) السيد حافظ: مسرحية (الحانة الشاحبة العين تنتظر الطفل العجوز الغاضب)، مصدر سبق ذكره، ص٤٨، ٤٩.

(٧) المصدر السابق، ص٤٥، ٤٦.

(٨) المصدر السابق، ص٣٧.

إن خطاب "صبحي" مليء بالثورية الشاملة على كل سلبيات المجتمع من حب المال وحب اللذة وحب الحياة، فلا بد من تحرير فلسطين واسترداد كل شبر ضاع منه.

كما نجد فكرة التحرر تسيطر على مناضل آخر هو "مارلو" الألماني الذي هرب من عفن الحضارة وقهرها؛ لينضم إلى الفدائيين الفلسطينيين، فقضيتهم أصبحت معروفة لكنها متجاهلة، وهذا ما نلمسه في حواره مع صديقه كما يلي:

مالو: لِمَ من جلد الوحوش الآدمية إلى جلد عصفور صغير بريء ينتقل في الفضاء تمتلئ الحرية بجناحيه.. يسكبها في كل لحظة.. عليّ أن أغير الأشياء.. أريد أن أذهب.. أريد أن أذهب.

الفتاة: إلى أين؟

مارلو: إلى الشرق.

الفتاة: وليني العجوز؟.. (تقصد أباه).

مارلو: مازالت بقايا عظام الذين قُتِلوا جوعًا في يديه.. لم يجد السبب ليثبت براءته أمامي.. لكن عندما سأرى تغيّرًا سأحبه ..لقد انتحر السبب الذي أخبرني من أجله إنه يسلب الفقراء أموالهم وانتحر السبب لعلمه أنه مذنب.. لهذا كرهت الزيف.

الفتاة: لقد تغيرت.

مارلو: إنني التغيير نفسه"[٩].

فضح "مارلو" الممارسات اللا إنسانية التي مارسها الاستعمار في حق الشعب الفلسطيني. لقد سلبوا أموالهم وخيراتهم، كما أدان الضعف العربي الذي كان سببًا من الدرجة الأولى في التدخل الاستعماري.

---

[٩] السيد حافظ: مسرحية (الحانة الشاحبة العين تنتظر الطفل العجوز الغاضب)، مصدر سبق ذكره، ص٦٤، ٦٥.

ولمَّا كان الضعف والتخاذل سببًا في ضياع فلسطين وهزيمة٦٧، فيدعو "حافظ" إلى الوحدة والتضامن العربي؛ حتى تتحقق الثورة كاملة ويتم القضاء على العدو، وهذا ما أورده الكاتب في مسرحيته على لسان المرأة العجوز فتقول: "**دعوني أبصق في عين الحضارة الكاذبة.. دير ياسين تنتظر الرجال.. وأنا أطفالي صغار.. لابد أن أحصل لهم على العيش، والحانة هل طريقها تغيّر أم الوجود الذي تغيّر**"[١٠].

فكان ذلك بمثابة دعوة لطرح القضية الفلسطينية من جديد، والتي ظلت مهملة ومتجاهلة من المجتمع العربي، كما عاب الكاتب على الرأي العام سواء صحافة أو شعراء أو كُتاب تخاذلهم وبيعهم للقضية الفلسطينية من أجل الثراء والشهرة، فيرى "ياسر" أن الصحافة هي أكبر مضلل للقضية فيقول:" **العالم كله يعرف قضيتنا ولكنه يدعي الغباء أو اللا مبالاة.. الصحافة هي أكبر من يضلل العالم وهي التي ضللت قضيتنا في العالم والعالم على استعداد كي يبيع ضميره مقابل أي شيء**"[١١].

وينقد "محمد" دور الشاعر الذي لا يخدم بلده ولا قضاياه، فيعيب على أمير الشعراء "أحمد شوقي" اقتصار شعره على الطبقة الحاكمة وبُعده عن الناس قائلًا: "**المصيبة.. إن كل البلد تعرفها وما حد قالها في قصيدة.. ولو حد قالها كانت الناس حفظتها..كل الناس عارفة القضية وقضاياها كلها.. ثم شوقي أميرك.. كتب للقصر ماعرفش يكتب للناس.. إزاي يكتب عن الجعانين وهو بيأكل فراخ.. كتب للخديوي مرة وقال له أنا عبدك وابن عبدك.. ولما عمل وطني كان علشان الشهرة بس**"[١٢].

ويتمنى الكاتب على لسان "راوية" أن تعود مصر لسابق عهدها وتقود المنطقة العربية وتخلصها من الاستبداد الاستعماري الذي فُرض عليها، فتقول:

"**إن مصر فتاة ذات ثوب أخضر وعين زرقاء وجلد أخضر.. فتاة طيبة.. كانت تحبني.. صديقة عشت معها الأيام الصعاب المُرة في حياتي، كانت تحاول أن تشرب المرارة بدلًا مني**"[١٣]، لذلك

---

[١٠] السيد حافظ: مسرحية (الحانة الشاحبة العين تنتظر الطفل العجوز الغاضب)، مصدر سبق ذكره، ، ص٢٣.

[١١] المصدر السابق، ص٧٠.

[١٢] المصدر السابق، ص٢.

[١٣] المصدر السابق، ص٦٠.

يريد "محمد" أن يصبح في الجيش المصري حتى تعود مصر كما كانت حرة وعزيزة، قادرة على تحرير العرب، فيقول: "**مصر.. أنا بدور عليها يا بابا عايز أشوفها.. عايز أبقى عسكري**"[١٤].

وتنتهي المسرحية بنفس المشهد الذي بدأت به، كما أراد الكاتب أن يخفف من حدة المسرحية، فلجأ إلى كسر الإيهام حين وجهت "المجموعة١" حديثها إلى الجمهور قائلة: "**معلش ما ضحكناكوش ولا قولنا نكت ولا حكينا قصة العشق والغرام ولا فارس الأحلام حكينا قصة إنسان في جزيزة السمان**"[١٥]. فالمسرحية تدل على مدى وعي الكاتب السياسي بالقضية العربية الفلسطينية.

إنَّ مسرحية (الحانة الشاحبة العين تنتظر الطفل العجوز الغاضب) تُعد نموذجًا للمباشرة في طرح القضية الفلسطينية دون تورية، هذا بالإضافة إلى عدة قضايا سياسية يمكن إيجازها فيما يلي:

- نقد الكاتب للمجتمع العربي المتخاذل تجاه القضية العربية الفلسطينية.
- نقد الكاتب للرأي العام – صحافةً وكُتابًا وشعراءً– المتجاهل للقضية الفلسطينية كقضية عربية.
- نقد الكاتب للحركة الصهيونية وإظهارها أمام العالم من خلال استحضاره للمرجعية الدينية والتاريخية.

أمَّا عنوان المسرحية كان رمزًا يجعل المتلقي يتساءل من هي شاحبة العين ومن الطفل العجوز الغاضب، ومع قراءة المسرحية وأحداثها نجد أن الكاتب أراد ب (الشاحبة العين) فلسطين قريحة العينين من ظلم وذل المستعمر لأرضها، و(الطفل العجوز الغاضب) لعله الشعب الذي ناضل منذ سنوات وآمن بثورته وكفاحه ضد المحتل لكنه فقد الأمل وشاخ وأصبح عجوزًا وحالت الطرق بينه وبين الوصول إلى حل قضيته الفلسطينية.

[١٤] السيد حافظ: مسرحية (الحانة الشاحبة العين تنتظر الطفل العجوز الغاضب)، مصدر سبق ذكره، ص٤٩.

[١٥] المصدر السابق، ص١١٢.

عمد الكاتب إلى قالب المسرحية الطويلة؛ ليعبر عن شمولية آراء الشرائح التي تعيش في المجتمع ككل تجاه القضية الفلسطينية المُتجاهَلة، لذلك تعددت شخصيات المسرحية ولكنها تميزت بالتوازي فيما بينها فلا نجد شخصية تتفرد بالحوار دون غيرها.

كما غلّب الكاتب الصراع الخارجي على الداخلي، وإن ظهر في مواضع قلة كقول صبحي لنفسه:" **البعثة الغاضبة الحمراء ذهبت عن طريق تفجير أنوية الغضب.. أنا لست أقل من أي فرد في البعثة.. أنا ليس رصيدي عينايّ الخضراء وحقولها الهادئة نون حبيبتي أنا متعب.. متعب للغاية**"(١٦). وذلك ليبرز نبرات التحدي لدى الفدائي والمناضل والأجنبي ضد العدو الغاصب والعالم المُتناسي القضية الفلسطينية.

فقد تميزت المسرحية بطابعها التراجيدي كي يتناسب مع طبيعة القضية الفلسطينية وبيان مدى معاناة المناضلين من أجل التحرير الفلسطيني.

كما لجأ الكاتب إلى كسر الإيهام المسرحي بأكثر من وسيلة عن طريق تقديم الشخصيات دفعة واحدة أو محادثة الجمهور أو المزج اللغوي بين الفصحى والعامية أو بواسطة ديكور مسرحي بسيط.

(١٦) السيد حافظ: مسرحية (الحانة الشاحبة العين تنتظر الطفل العجوز الغاضب)، مصدر سبق ذكره، ص٣٥.

الفصل الثالث

قضية الحرب والسلام

في المسرح السكندري المعاصر

مسرحية (والله زمان يا مصر) للكاتب السيد حافظ

لقد عالج السيد حافظ في مسرحيته (والله زمان يا مصر) –مسرحية الفصل الواحد– قضية الحرب وويلاتها، ودور المقاومة في التصدي للاستعمار بعد حرب أكتوبر١٩٧٣م خاصة في القنطرة شرق التي صَعب اقتحامها؛ لأنها بداخل المدن.

تقع أحداث المسرحية في إحدى الغرف التي عثر عليها الفدائيون بعدما أطلقوا الرصاص على العدو وفجروا مخزن الذخيرة، فأُصيب الفدائي "مصطفى" فاضطروا إلى الاختباء في أي مكان عثروا عليه، وكانت تلك الغرفة لضابط ومدرس التاريخ "فايد" فاقتحموها بمسدساتهم، وتستدل الباحثة على ذلك بما يلي:

"فايد: مين.. مين اللي بيخبط.

أمل: افتح بس وبعدين حأقولك أنا مين.

فايد: مش فاتح.. أنت تعرفيني؟

أمل: افتح يا جبان مش عايزة أعرفك.

فايد: نعم (يفتح الباب تدخل أمل بسرعة وتمسك مسدسًا في وجه فايد، ويدخل رجلان أحدهما مصاب والثاني يحمله ويحمل كل منهما مدفعًا)

أمل: نجحنا (تجري تجاه السرير) مصطفى نجحنا.

مصطفي: نجحنا الحمد لله.. سامع رصاص الأعمى.

أمل: أيوه يا مصطفى وسمعت الانفجار في الذخيرة.

مصطفى: مش قلت في أمل يا أمل مصر ولادة.. إسرائيل أكذوبة فوق أرضنا..

أمل: استريح أنت بتنزف.. استنى شوية.

مصطفى: لازم نضربهم في كل حتة.. دا وقتنا يا أمل .. علم إسرائيل عار فوق أرضنا.

أمل: أنا عارفة.. بس أنت اتجرحت وهما ورانا لو حتموت يبقى إيه ثمن اللي بنعمله.

مصطفى: اللي بنعمله ثمنه مصر.. مهر مصر يا أمل دم.."[١٧].

فالكاتب يجسد حلم الفدائي "مصطفى" في الانتصار بعد الهزيمة، فلا يوجد شيئًا أغلى من مصر. لقد طال هذا الأمل خاصة بعد هزيمة ١٩٦٧م، فينفذ "مصطفى" وحبيبته "أمل" وصديقه "رياض" عملية تفجير مخزن الذخيرة، وإثر ذلك يُصاب ويلجأون لبيت "فايد".

ثم يدور حوار بين الشخصيات الأربعة عن الهزيمة والنصر، الأمل واليأس، يشارك فيه "فايد" الذي يأس بسبب الهزيمة والضياع، وبات يرى كلمة النصر شعار لا يمت للواقع بصلة؛ وأننا مهزومون منذ ٤٨ و٥٦، بينما يحاول الفدائيون الثلاثة مساندة بعضهم البعض بالحديث عن الأمل في النصر وتطهير الأرض من هذا العدو الغاصب ، ويتضح ذلك فيما يلي:

"**رياض: أنت عارف إحنا مين؟**

فايد: لأ مش عارف.. بصراحة أنا حاسس إنكم عصابة عاملين وبتستخبوا.

مصطفى: تعرف إحنا كنا بنسرق إيه؟

فايد: إيه؟

مصطفى: النصر. (يسمع صوت انفجار وطلقات شديدة. ويمسك كل منهم المسدس)

فايد: أنتم فدائيين شكلكم مش شكل حراميين.

أمل: أنت كنت بتعمل شاي؟ أنت بني آدم ما عندكش إحساس بالمسئولية.

فايد: أنتم جايين ليه واشمعنا الأوضة دي اللي اخترتوها واشمعنى عايزين تودوني في داهية لما يجي عساكر الإسرائيليين دلوقت حيهدوا البيت على دماغ صحابه كلهم.
رياض: إحنا لازم كلنا نبقى إيد واحدة وكل كتف يبقى جنب الكتف التاني مين كان يصدق إن الليلة دي كانت ليلة فرحك لكن ساعة الجد جت ولازم كلنا نقف سوا ضدهم.

---

(١٧) السيد حافظ: مسرحية (والله زمان يا مصر)، المسرح السياسي، ط٢، الإسكندرية، دار الوفاء، لدنيا الطباعة والنشر،١٩٩٣، ص٢٨١: ٢٨٦.

فايد: دي شعارات وكلام أغاني. أنتم هنا في القنطرة والعدو محتلنا من ست سنين.. بتحلموا بإيه كل شيء ماشي بالأوامر العسكرية والعلم الإسرائيلي مرفوعة هامته بكبرياء فاق الحدود، والناس في عينها حزن"[١٨].

وتتجلى آثار حرب ٥٦ ببورسعيد وهزيمة ٦٧ ومثالب العدوان الغاشم الذي قتل حبيبته ست الحسن والجمال؛ فأصبح "فايد" لا يعرف كلمة سوى الانسحاب من أرض المعركة، وهذا يتضح فيما يلي:

"**مصطفى: أنت ما دُقتش طعم المقاومة والرصاص والحرب؟**

فايد: لا أنا دُقت.. أنا جندت مرة واتنين واتدربت ووقفت علشان أضرب قالوا لي انسحب.. انسحب.. انسحب.. وهكذا هزيمة وراء هزيمة.(ثم ينظر لأمل) البلد ما تستحقش أي حاجة، الكبير فيها دايس على الصغير، في ٥٦ سبت الكلية وفارد جناحي وقلت أحارب، يا بور سعيد ما تموتيش.. كنت جوه دبابة مستني الأوامر كنت فرحان قوي. قالوا انسحب انسحب أخدت على الانسحاب. أخدت على الانسحاب.

رياض: بتشتغل إيه يا فايد؟

فايد: مدرس تاريخ.

أمل: أنت متجوز ولا لأ؟

فايد: كنت حتجوز لكن ما اتجوزتش. فاكرين اللعبة القديمة بتاعت الاستعمار يا أهالي بور سعيد اطلعوا استقبلوا السفينة السوفيتية. فتعرف السفينة ديه يا إما إنجليزية إما فرنسية يا إما يهودية.. حصدت كل الناس وست الحسن والجمال"[١٩]

ثم يظهر "السنهوري" زميل فايد متفائلًا بحلم النصر والخلاص هو الآخر، فيعطي تلاميذه الأعلام المصرية حتى يعلقوها داخل القميص ويحفظهم النشيد الوطني، وعندما يسمع نبأ عبور المصريين الضفة الشرقية للقناة يسرع إلى صديقه "فايد" ليعلمه بالأمر كما سيتضح فيما يلي:

---

[١٨] السيد حافظ: مسرحية (والله زمان يا مصر)، مصدر سبق ذكره، ص٢٨٧: ٢٩٠.

[١٩] المصدر السابق، ص٢٩٥:٢٩٧.

"السنـهوري: يا فايد.. يا فايد.. أنت صاحي ولا نايم؟

رياض: مين دا؟

فايد: دا السنـهوري.. صديقي مدرس ابتدائي.. زيكم بيحب التفاؤل أفتح له ولا؟

السنهوري: أخوك السنهوري يخبط على الباب (ينظر حوله) الله.. هو أنت عندك ضيوف ولا إيه؟

فايد: أيوه تعرفهم مصريين زيك زي ما أنت شايفهم.

السنهوري: السنـهوري أفندي.. مدرس إلزامي.. أوعوا تفتكروا إن العيال الصغيرين دول حاجة هايفة..أبدًا.. أنا بأحس معاهم بالأمل.(يخرج أعلامًا صغيرة من جيبه.. يضعها على صدر كل منهم) دي الأعلام المصرية صناعة أيدينا.. اليهود رافضين إننا نرفع العلم أنا عملت شوية أعلام صغيرة وبدي كل عيل علم يعلقه تحت القميص وبحفظ كل العيال نشيد بلادي.

فايد: عايز إيه يا سنهوري بس اقعد.

السنهوري: أنا قاعد مع الولاد وبقالي ساعة بأجيب إذاعة مصر مش عارف.. الطيارات بقالها كذا يوم مش عادية.. فقررت أجيب الإذاعة عاملين عليها غلوشة.. وفجأة بيقولوا إحنا عدينا الضفة الشرقية والجيش المصري بيزحف بقاله يومين جاي علينا ماشي في سينا"[٢٠]**.**

يصف الكاتب حالة الشعب الذي يتوّق إلى النصر، ويزرع الأمل في نفوس الجيل القادم من خلال شخصية "السنهوري"؛ فيجد أصحاب المقاومة الفدائيين، ويخبرهم بأن الناس منتظرة إشارة لقيام ثورة شعبية ضد المحتل في كل مكان، لكن "فايد" يثبط عزيمته بمجيء أوامر الانسحاب فيتدخل "مصطفى" في الحوار ويعطي أوامره للضابط "فايد" الذي رفض في بادئ الأمر لكنه يأخذ سلاحه ويطلق رصاصته صوب العدو، وتستشهد الباحثة على ذلك بما ورد في المسرحية:

"مصطفى: أمل سامعة السنهوري بيقول إيه.. الناس مستنية الإشارة أنتم الإشارة وابقى ارفع العلم يا سنـهوري وخليه كبير يعلقه الولاد من برة القميص.

---

[٢٠] السيد حافظ: مسرحية (والله زمان يا مصر)، مصدر سبق ذكره، ص٣٠٢، ٣٠٣.

أمل: مصطفى أنت بتقول إيه؟

مصطفى: (لفايد) ما تبقاش جبان واجه ولو مرة واحدة عدوك.

فايد: حيقولولي انسحب.

مصطفى: أنا القائد بتاعك بأقولك تقدم يا فايد ومعاك مجموعتك.

رياض: حايهرب.

السنهوري: دول جايين على بيتنا؟

فايد: إحنا حندخل على السطح.. حنط على السطح التاني لحد ما تلاقى سطح السنهوري تنزل عليه.

مصطفى: على بركة الله.. الإشارة والله زمان يا مصر (يطلق مصطفى وفايد النار.. يسقط ثلاثة جنود إسرائيليين)"[٢١].

لقد قامت الثورة الشعبية بإشارة والله زمان يا مصر، وقامت حرب أكتوبر المجيدة وعبرنا قناة السويس ودمرنا حصون الأعداء وهزمنا العدو الإسرائيلي اللدود. فالمسرحية رصدت ما عاناه الشعب المصري من ويلات الحرب الإسرائيلية، وصوت فرحة الشعب بالخلاص وحلول السلام على الأراضي المصرية.

لقد وظف السيد حافظ الأسلوب الواقعي البسيط عبر البناء الأرسطي المباشر؛ حيث وحدة الزمان والمكان والحبكة والصراع، فالمسرحية مُثلت في "قنطرة شرق" حيث منزل فايد، في زمن ما بعد حرب أكتوبر، والصراع كان قائمًا بين الأضداد: اليأس والأمل، الحرب والسلام.

وقد عبَّر عنوان المسرحية عن مدى اليأس والأمل، الفرح والحزن اللذين خيما على مصر خلال فترة حروبها مع العدو الغاشم، فحينما تحقق السلام شعر الشعب بالسعادة الحقيقية لعودة مصر المحمودة، وتذكر الأيام الخوالي لمصر ب "والله زمان يا مصر".

[٢١] السيد حافظ: مسرحية (والله زمان يا مصر)، مصدر سبق ذكره، ص٣٠٧، ٣١٠، ٣١٢.

وقد عمد الكاتب إلى قالب المسرحية القصيرة ذات الفصل الواحد؛ ليركز على قضيته وهي الحرب والسلام دون استرسال؛ لذلك استعان بشخصيات قليلة وهي فايد ومصطفى ورياض والسنهوري.

كما استخدم اللغة العامية الدارجة؛ ليجعل القضية قريبة من الناس، كما غلّب الصراع الخارجي المتصاعد؛ ليبرز اليأس والأمل اللذين مرا بهما الشعب خلال حرب ١٩٥٦م، ١٩٦٧م، ١٩٧٣م، وقد ظهر هذا في حوار فايد ومصطفى حينما قالا:

"**مصطفى: أنت ما دُقتش طعم المقاومة والرصاص والحرب؟**

فايد: لا أنا دُقت.. أنا جندت مرة واتنين واتدريت ووقفت علشان أضرب قالوا لى انسحب.. انسحب.. انسحب.. وهكذا هزيمة وراء هزيمة.(ثم ينظر لأمل) البلد ما تستحقش أي حاجة الكبير فيها دايس على الصغير، في ٥٦.. سبت الكلية وفارد جناحي وقلت أحارب، يا بورسعيد ماتموتيش.. كنت جوه دبابة كنت مستني الأوامر كنت فرحان قوي، قالوا انسحب انسحب أخذت على الانسحاب، أخذت على الانسحاب"[٢٢].

كما أجاد اختيار أسماء شخصياته حيث جعلها ممتزجة بين اليأس والأمل، فاسم "فايد" يعني الموت وكانت شخصية "فايد" تميل لليأس والتشاؤم، بينما اسم "أمل" يرمز إلى التفاؤل والنصر والسلام الذي سيتحقق على يد "مصطفى" وقد تناسب هذا الاسم مع شخصيته؛ الضابط الذي سيحقق السلام والنصر، كما يرمز اسم "رياض" إلى الخير الذي ستنعم به مصر بعد تحقيق السلام وهزيمة العدو الإسرائيلي.

---

[٢٢] السيد حافظ: مسرحية (والله زمان يا مصر)، مصدر سبق ذكره، ص٢٨٧، ٢٨٨.